التفاهم بين الزوجين

أسباب الخلاف ووجوه العلاج

فى الولايات المتحده الأمريكية يكثر الاهتمام بدرس العوامل المنزلية للسعادة بين الزوجين. وقد خصصت بعض الجامعات هـذا الموضوع بعنايتها وأرصدت له الأساتذة الذين يدرسونه من وجهاته المختلفة النفسية والاقتصادية والاجتماعية . ومع أن الفرق كبير بيننا و بين سكان الولايات المتحدة فى الأحوال الاجتماعية فاننا نتلاقى أحيانا فى كثير من المساوئ أو الأغلاط التى تؤدى الى الفشل فى الأسرة ، ولذلك لاجناح علينا من أن ننتفع بتجاربهم .

وقد كتب أحد القضاة الذين اختصوا بقضايا الطلاق فى هـذه الولايات المتحدة مقالا عن الخلافات التى تقع بين الزوجين ، فكان فى أول القائمة التى ذكرها ذلك الخلاف الشائع وهو تدخل الأهل ، ولذلك هو ينصح للمتزوجين والمقدمين على الزواج بأن يختص الزوجان ببيت مستقل ولو كان غرفة فوق السطح ، وهذا مع مجاملة أقاربهما ولكن مع الحذر من تدخلهم فى شئون البيت .

هذا ما يقوله قاض فى أمريكا ، وكثير من الخلاف الذى ينشب بين الزوجين فى مصر يعود الى تدخل الحماة التى تريد — اذا كانت أم الزوج — أن ترأس البيت بدلا من الزوجة أو هى — اذا كانت أم الزوجة — تدفع ابنتها الى ابهاظ الزوج بمطالبات مرهقة تؤدى الى المفاضبة فالمشاجرة.

ولذلك نقول إن أول شرط للتفاهم بين الزوجين أن يعمل الزوج على الاستقلال بزوجته وأن يوقن أن رغبتها فى أن تكون ربة البيت الذى تستقل به هى رغبة مشروعة يجب ألا تصدم ، فاذا كانت الظروف الاقتصادية تحول دون هذا الاستقلال وتقضى باشتراك الحماة فانه يجب على الزوج أن يعرف ماهو فيه ، لأنه هنا ازاء مشكلة تحتاج الى الحل بالتوفيق الدائم بين زوجته ووالدته أو بينه هو و بين والدتها ، أى يجب عليه أن يعرف أنه يواجه حالة تحتاج الى اليقظة وتجديد المعالجة بالنظر السليم والتقدير الحسن ، ومن عرف فقد غفر .

وأقل من هذه الحال حرجا أن يكون بالبيت بعض الأقارب مثل الأخوة ، فان الزوجة مع رغبتها فى الاستقلال تستطيع أن تتسامح مع هؤلاء لأنهم فى العادات المألوفة

لا يعارضون سيطرتها كما تفعل الحماة ، ولكن حتى هنا يجب ألا يفوتنا أن الزوجة ترى استقلالها المنزلى غير تام ، وهذا النقص يبعث القلق الدائم فى نفسها .

وسبب آخر للخلاف هو الخطة الاقتصادية فى البيت ، فان الزوج هو الكاسب ، والزوجة هى المنفقة ، وموقف الزوج كثيرا ما يبرر له السيطرة والكلمة الأخيرة فى وجوه الانفاق ، وهو يحقق ذلك إذا كانت الزوجة على خبرة صغيرة أو بلا خبرة فى هذه الوجوه ، وكثيرا ما تكون الحال كذلك . وعندئذ ترضى هى مستسلمة خاضعة لأنها تخشى تبعة الإنفاق ، أما إذا كانت على شيء من هذه الخبرة فانها ترفض أن يكون زوجها هو الذى يتولى الانفاق على البيت . والواقع أن الاختبارات المتكررة تدل على أن راحة الزوج نفسه تحمله على أن يكل الى زوجته أمر النفقة على البيت ، لأنه حين يرفض ذلك ويستأثر بنفسه بنفقة البيت يبعث الشكوك فى قلب الزوجة عن سلوكه خارج البيت ، فهو كلما تأخر عن ميعاده أو كلما عجز عن الوفاء بالحاجات المنزلية يصير عرضة للاتهام بأنه أنفق بعض كسبه خارج المنزل ، ومن هنا تنشأ الشبهات المظلمة التى تغشى جو البيت وتجعله قاتما لأن الزوجة تتظنن الظنون الكثيرة . والقرش الذى ينفقه زوجها فى التافه من مشترياته يعود مبلغا ضخما كان يمكن به سد نقص قائم .

وخير الخطط التى تتبع هنا أن يصارح الزوج زوجته عن مقدار كسبه ، ولا يترك عندها ظلا للشك فى هذا الموضوع ، ثم عليه بعد ذلك أن يترك لها نفقة البيت شهرا بشهر حتى يشعرها المسئولية ، هذه المسؤولية التى تكوّن الأخلاق ، وقل أن تجنح زوجة الى التبذير اذا كانت قد تعودت النفقة الشهرية تحسب حسابها لشهر قادم وهى على وجدان تام بالتكاليف والأعباء وعلى علم بمقدرة زوجها المالية . لأن الزوجة المبذرة هى التى تجهل كسب زوجها وتتهمه باضاعة دخله خارج البيت وتتناول منه أثمان حاجاتها وكأنها تختطف منه ، فاذا شاء الزوج التفاهم فعليه أن يشعر زوجته الثقة بمصارحتها بطاقته المالية وأن يسلم لها نفقة الشهر الكاملة ويترك لها حرية الشهر الكاملة ويترك لها حرية التصرف .

قلنا إن أهم الأسباب للخلافات الزوجية يعود الى :

(١) تدخل الحماة وشعور الزوجة بأنها ليست ربة البيت .

(٢) حرمان الزوجة من السيطرة المالية على البيت وجهلها لأبواب الكسب والإنفاق عند زوجها .

وهذان السببان مع خطورتهما فى السنين الأولى للزواج يضعف أثرهما أو يزولان بتاتا بمضى الزمن ، لأن الحماة هى فى الغالب عجوز ستنتهى بالكف عن النضال لرياسة البيت

أو هى قد تبلغ الشيخوخة التى تقضى طبيعة الأشياء بترك المجال للشباب . والغالب فى السبب الثانى أن الزوج المطمئن الى زوجته يجنح الى الثقة التامة بها فيسلم لها بجميع طلباتها المترلية ويجد الروح والراحة فى هذا التسليم .

ولكن هناك سببا ثالثا للخلاف يشق علاجه وتطول مساوئه ، وهو أكثر تفشيا فى بلادنا مما هو فى الأقطار الأوربية أو الأمريكية نعنى به قلة الزمالة بين الزوجين . فان الزوج الأوربى يزامل زوجته فيرافقها فى زياراته ونزهاته ، وهو يحادثها فى السياسة ويناقشها فى الشؤون العامة ، ومجلته هى مجلتها وجريدته هى جريدتها ، فهما صديقان زميلان على ذوق واحد ومستوى فكرى لا يختلف ، ولذلك يأنس كل منهما بحديث الآخر ويشتاق بل يسعى اليه .

ولكن الحال مع الأسف ليست كذلك فى مصر ، وليست الزوجة هى الملومة ، لأننا نحن فى مصر قد عنينا بتعليم الشبان دون الفتيات فاتسعت الهوة بينهما وصار التفاوت عظيما فى ثقافتيهما . ولذلك ينشد الشباب عندنا هذه الزمالة ليس فى زوجته بل فى صديقه فى القهوة أو النادى ، وتقتصر العلاقة بين الزوجين على الضرورات كأن البيت ليس سوى فندق أو مطعم . فالزوجان لا يتفاهمان إلا فى الحاجات البدائية والصلة الذهنية مقطوعة بينهما ، الزوجة فى المطبخ أو بين الأولاد ، والزوج يقرأ جريدته وسرعان ما يهرع الى مكتبه أو الى قهوته ، بل هو قد يقعد الى المائدة فلا يخاطبها إلا بالمفردات أو الجمل القصيرة .

ونعود فنكرر أن الزوجة ليست مسئولة عن هذه الحال ، لأن المجتمع المصرى هو الذى عين لها هذا الوضع ، وعندئذ يجب علينا أن نعاملها بالعطف والحب والمعاونة . وذلك بأن يعمد الزوج الى أن يربى زوجته ويرفع مستواها الثقافى بالمناقشة والحديث وأن يرافقها فى زياراته للمتاحف والمتنزهات وأن يقصد حين يختار مصيفا الى التعليم والتنوير كما يقصد الى التنزه وتجديد الصحة ، ويحسن الزوج الميسر اذا هو اصطحب زوجته معه حين تتاح له الفرصة لزيارة أوربا ، وليس التعليم المدرسى هو كل شىء فى التنوير العام ، فان الجرائد والمجلات وأحاديث الراديو فون والمسرح وأحيانا قصص ومناظر السينماتوغراف ، كل هذه موفورة وهى جديرة بأن تنير الذهن وترقى بالزوجة التى لم تحصل فى المدارس على التربية الكافية ، وهى حين يشرف الزوج على تربيتها بهذه الوسائل تستطيع أن تزامله فلا تكون زوجته فقط بل صديقته أيضا ، وهى أيضا لا تكون أم الأطفال فقط بل مربيتهم التى تبصر بمستقبلهم وتعدهم له .

وحيث تكون الزمالة بين الزوجين تكون السعادة وحسن التفاهم فى البيت .